الافتتاحية

مَنْ يَكْذب على مَنْ؟

لا تصدِّقوا ما نكتبه عنكم في الجرائد.

لا تصدِّقوا أنَّنا نحبّ مبادراتكم وسياساتكم الحكيمة.

نحن نَكْذب. أخذنا أموالَكم. وكذبنا عليكم، وعلى النَّاس. وحين نأوي إلى بيوتنا ومقاهينا، نهاجمكم.

ولكنْ، رجاءً، لا تصدِّقوا كذبتَكم، التي هي نحن، إلى الأبد. اشتريتمونا كي نَكْذب، ولكنَّ النَّاس لا تصدِّقنا، ونحن لا نصدِّق أنفسَنا. انظروا إلى «الجزيرة.» اسمعوا الاتِّصالات التي تَنْهال على فيصل القاسم وسامي حدّاد وأحمد منصور: مَنْ مِنَ المواطنين العرب يريد التطبيع؟ مَنْ منهم يريد وقف الانتفاضة؟ مَنْ منهم يريد باول وتشيني، جزّاريْ «عاصفةِ الصحراء،» بيننا؟ مَنْ منهم يريد أنطوني زيني، سفّاحَ الصومال عام ٩٣ وسفّاحَ العراق عام ٩٨، في بلادنا؟ مَنْ منهم مشتاق إلى رؤية جورج تينيت، رئيسِ المخابرات الأميركيَّة التي هي رأسُ الإرهاب والإجرام في العالم؟

أقول لكم: البارحة كنتُ في مظاهرة دعمًا للانتفاضة. كنّا أكثر من عشرة آلاف شابة وشابّ. لم أسْمع أحدًا يَلْهج بالثناء عليكم. كانت القبضاتُ في الهواء، ولم أجد صورَكم في أيّ مكان (وكيف تكون إلى جانب صور عبد النّاصر؟). ولم أجِدْ مَنْ يتحدَّث عن حكمتكم. وفتّشتُ عن صوركم في تظاهرات عمَّان والقاهرة و... فلم أجدها.

لا أحد منّا يريد التطبيع مع إسرائيل (منْ منكم حاربها أصلاً؟)، حتى لو انسحبتْ من كافَّة الأراضي التي احتلّتها عام ٦٧. والسفارات أو المكاتب الإسرائيليَّة التي زرعتموها في قلبنا لن يكون مصيرُها إلاّ الحرق.

خذوها من هذا الذَّقن: لسنا مُخْلصين لكم، وسنَقْلب لكم ظهرَنا حين نجد المال. طبِّعوا مع مَنْ شئتم، وحيث شئتم. واعقدوا اللقاءات. وصافحوا مَنْ شئتم، وقبِّلوا مَنْ شئتم. وابتسموا لمن شئتم. وصرِّحوا كما شئتم. وقولوا إنَّكم تمثِّلوننا بنسبة ٩٩,٩٩٪. وسنهزَ رؤوسنا، ونواصل الكذب، لأنَّنا نعلم أنَّ المتظاهرين وحدهم أكثر من ٠,٠١٪.

ولكنْ ثقوا بأنَّنا، كشعب مصر والأردن والسعوديّة واليمن، لن نقْبل بإسرائيل في أيِّ مكانٍ بيننا، ولا بأيّ قاعدة أميركيَّة في أيِّ شبر من أرضنا.

نحن فقراء، وانتهازيُّون. ولهذا نسْمح لكم بأن تضحكوا علينا، لأنَّنا نَضْحك عليكم. والناس تَعْلم ذلك، لأنَّنا حين نخْتلي بها، أو نتظاهر معها، نتبارى في ذمِّكم. وعندها، عندها فقط، نحسّ أنَّنا صادقون.

كلُّنا، أنتم ونحن، سعداء بهذا الاتِّفاق الضمنيّ.

ولكنّ نظرات المتظاهرين، إلينا وإليكم، لم تعد تحتملكم، ولم تعد تحتملنا.

سماح إدريس